

سوريا

قصائد للذكرى



صهيب محمد خير يوسف

شعر

سوريا قصائد للذكري

صهيب محمد خير يوسف

[كُتبت نصوص هذه المجموعة

بين عامي ٢٠١١ و ٢٠١٥ م

في مدينة الرياض

نشرة رقمية

إسطنبول - ٢٠٢٥ م

© الحقوق محفوظة للمؤلف]

مُصَافِحَةٌ

سَلامٌ عَلى السَّادَةِ الشُّهَداءِ

أَعوِذُ إِلَيهِم إِذا اذحمتَ بالوُجوهِ مَرايا المِساءِ
أُمَيِّزُهُم قَمراً قَمراً.. يَمَلؤونَ بَصَحكاتِهِم ظُلُماتِ

الفِضاءِ

كثيرونَ هُم، وَقَليلٌ أَنا، وَكلامِي أَقلُّ..

وما حِيلَةُ الشُّعراءِ

سوى كَلِماتٍ وَبعضِ بَكاءِ.

ظلال الدعاء

السلامُ على الشُّهداءِ
هكذا.. كالإمامِ يَصْفُونَهُمْ في رُفوفِ السماءِ
ثمَّ يَبْكونَهُمْ في ظلالِ الدعاءِ
ثمَّ يا حَسْرَتاً..
يُكْرِمُونَ الثرى بِشريفِ الدماءِ.

لغة المسافة

أجملُ الشعرِ ما كان مقتبَسًا من رداءِ شهيدٍ
عندما يكتبُ الشعراءُ كلامًا يحاورُ أرواحهم..
ويقرَّبهم من قتيلٍ بعيدٍ
هكذا.. بخيالٍ يتيمٍ وحيدٍ.

مهاجر

- اشتقتُ كثيرًا إلى سُوريا منذُ غادرتها من ثلاثينَ دَهرًا

ولما رجعتُ إليها ولم أرها..

قلتُ: أكملُ حُلُمي، وحدى، غريبًا

لأُصبحَ حُرًّا

ولما خرجتُ بكيِّتُ عليها

نعم.. ثمَّ أصبحتُ شعرًا وذكري

وها أنا أبكي على وطنٍ صارَ مرثيةً..

وخناسًا وصخرًا

- كأنك لم تنتبه أن في الصبرِ نصرًا..

وأنَّ مع العسرِ يسرًا

وأنَّ مع العسرِ يسرًا؟

تیار

أَكَلَمَّا جَفَّ عَرُقٌ فِي ثَرَى بَرْدَى
ظَنَنْتُهُ مِنْ عُرُوقِي ..
فَاسْتَحَلْتُ نَدَى؟

حرب المُدن

ومرّت عليك رِيحُ الزمنِ
وما زالَ موتك مُنبعثًا بين حربِ الفضاءِ وحربِ المُدنِ
وما زلتَ تزدادُ فينا حياةً وحريةً
.. يا وطنُ
نحبُّكَ يا وطنًا كيفما كنتَ
أو كيفما لم تكُنْ.

انتظار

وماذا يقولُ الغريبُ عن الشامِ..

ماذا يقولُ الغريبُ؟

وعن أيِّ شوقٍ يحدثُ أغصانها ومصاييحها في

الدروب؟

أنا كلَّما الشامُ قالت:

متى يرجعُ العنديلُ؟

أقول: وهل هاجرَ الطيرُ إلا لغيرته من دموعِ الحبيبِ؟

.. وأخلو بنفسي:

أواه يا شامُ، يا حسرةً في القلوبِ.

مُعْجَمُ الْحَرْبِ

ثلاثون عامًا.. ومجزرتان..

وبينهما حلمٌ يتحرَّرُ

أحقًا ستستوعبُ اللغةُ الشاعريةُ هذا الدَّمَارَ المَكْرَرُ؟

وهل نحنُ في حاجةٍ لكلامٍ جديدٍ تمامًا

على كلِّ منعطفٍ يتغيَّرُ:

فيشتقُّ من غضبِ الحربِ قاموسُهُ

ولدى شرحِ غامضِها يتفجَّرُ

ويأخذُ من قسوةِ الريحِ ثورتهُ

ومن الليلِ وَحشتهُ وعلاقتهُ بالخيالِ المهجَّرُ؟

«كتبتُ القصيدةَ عن شارعٍ، بقيتُ، وتوتّرَ شارِعُنَا

وتدمرَ»

يقولُ صديقي الذي يتربّصُهُ القصفُ

.. لكنه يتصبرَ.

غُرْفٌ مَنْسِيَةٌ

تَرَكْتَ هُنَالِكَ بَيْتَا

وَمَاءَ سَبِيلٍ ..

عَلَى مَفْرَقِ الْحَيِّ مِنْ فَيْضِهِ كَمْ شَرِبْنَا

وَأَغْصَانَ كَيْنَا ..

تُخَبِّئُ فِي عَطْرِهَا كُلَّ عَطْرِ فَقَدْنَا

وَعُصْفُورَةٌ فِي الصَّبَاحِ اللَّذِيذِ ..

تَصْرُ عَلَى أَنْ تَفُتَّ لَهَا الْخُبْزَ فِتًّا

.. خوى البيتُ من أهلهِ
جفَّ ذاكَ السبيلُ
هوى الطيرُ عن عُصنهِ
وتساقطتِ الناسُ موتى
ونادتك: يا أنتَ .. يا أنتَ .. أنتَ
لماذا..
لماذا تركتَ حرستا؟

حدود مطوية

ينطوي البعدُ
ينكسرُ الحاجزُ الزمنيُّ
وتُلغى المسافاتُ بيني وبينَ ترابِ حبيبِ
هل أكرّرُ معنى الحضورِ ثلاثاً..
لأثبتَ أني غريبٌ؟

ضعيف بلا وطن وقصيدة^(١)

وشاهدتُ - حينَ تلبَّسني وطني - شبهَ موتي المرَّمَّ
شاهدتُ فقهَ سُرودي عن كلِّ شيءٍ
وشاهدتُ عُكَّازةَ الروحِ تعرَّجُ..
قُفَلَ دمي يتكسَّرُ
شاهدتُ حاجةَ ضِعفي لأكثرَ من صاحبٍ..
أنا شاهدتُ كيفَ تهربُ منِّي المعاجمُ كالنَّحلِ
.. حتى نسيْتُ القصيدةَ.

(١) [عن العودة إلى الكتابة الشعرية عام ٢٠١١م، بعد انقطاع عنها دام قرابة عامين].

كانون

تُغَطِّيكَ يَا وَطَنِي ظُلْمَةُ الثَّلْجِ هَذَا الْمَسَاءِ
يَغْطِيكَ نَهْرٌ مِنَ الْمَسْكِ وَالِدَمِّ ..
فَجَرَّهُ السَّادَةُ الشَّهْدَاءُ

تَغْطِيكَ خِيْمَةٌ لَاجِئَةٌ فَقَدَتِ ظِلَّهَا فِي الْعِرَاءِ
.. وَيَبْقَى الْغَرِيبُ الْبَعِيدُ يَشَارِكُ مُوْطَنَهُ جَمْرَاتِ الشِّتَاءِ
وَيُلْقِي عَلَيْهِ وَشَاخَ الْمَوَاوِيلِ
حَتَّى تُضِيءَ سُقُوقُ السَّمَاءِ.

موقف الشهادة

استوقفني قائلاً:

صِفْ لِنَفْسِكَ تَارِيخَكَ الْخَاصَّ وَالْمَشْهَدَا

إِذَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا..

كُنْ غَدَا

وَوَدِّعْنِي عِنْدَ مُفْتَرَقِ الْغَيْبِ

وَاسْتَشْهِدَا.

فلكي

ولي نجمةٌ في الشمال القصي من الشهداء

تضيء..

فتأخذني نحو إشراقها ما تشاء

وتختار همزة قافيتي من حروف السماء

ولكنها الآن حمراء، حمراء

لا نجم يشبهها في الفضاء

كأنك يا سوريا فلكي يراقب أقماره

ويطيل التعجب مما جرى في القضاء:

- يريدون أن يطفئوا نور حريتي

.. وتريدُ البقاء.

مسك

مُلقيَّ على الجانبِ ..

ينامُ عطرُكَ فوقَ الشارعِ الهاربِ

ينامُ عطرُكَ في لونِ الندى الساكبِ

ينامُ عطرُكَ في بيتِ بلا سُقْفِ

.. بيتِ بلا صاحبِ

ينامُ بين دمٍ .. في قلبكِ الذاهبِ

وبين شأنٍ جرى في وجهكِ الشاحبِ

ينامُ عطرُكَ في يومِ الرحيلِ ..

فلا تُوقِظهُ يا غائبِ .

مشهد الانبعاث

دمٌ دافئٌ في الممرِّ

رصاصٌ

رمادٌ

وكانتُ لدى موتهم تستعيدُ البلادَ

.. البلادُ.

سؤال الاختيار

هؤلاء الشُّهداءُ
ربِّما لم يَتَّمتوا للأرضِ..
فاختاروا السماءَ!
فلقد فضَّلها أهلُ الصِّفاءِ
ولقد يَحْتارُ مثلي في معاني الإنتِماءِ
ولقد ماتوا..
ولله البقاء.

صاعدٌ من شارعٍ ما

الشهيدُ صديقي..

إذا أظلمَ الحزنُ لا أتذكرُ خِلاً صفيّاً سِواه

يجيءُ مُضيئاً ومُبتسماً

هكذا.. كالحياة

فما أبردَ اليدَ تمسحُ عن تعبي كلَّ آه..

هو الصاعدُ الآنَ من شارعٍ ما

وعيناهُ شاخصتانِ إلى ملاءٍ لا نراه.

موقف القلب

استوقفني قائلاً:
قلبي: الآن يسكتُ،
يبرُدُ،
يبيضُ كالياسمينِ
قلبه: خائفٌ..
لا حياةً به، لا حيناً.

صاحب الوتر

وما زال يُملي عليَّ تفاصيلَ رحلتهِ للسَّاءِ..
وكيف استطاعَ اجتيازَ الزمنِّ
وقال: اتخذتُ طريقي إليها..
وكانت ممهَّدةً للسُّراةِ..
ومُوحِشةً كدموعِ الوطنِ
وكنتُ أحدثُ نفسي:
إذا لم أُمّت فوقَ أرضي.. فمَنْ؟
.. وقال: انتظرتُكَ - يا صاحبَ الوترِ المتهدجِ - بين
حُدَاةِ الشجنِ.

مَسْبُوحَةٌ

أرى الجامعَ الأمويَّ:
يُصَلِّي كعادتهِ
ويرصُّعُ من فضةِ الذِّكْرِ تَسْبِيحَهُ
وَأَراهُ..

يُمَدُّ، يُمَدُّ السُّجُودَا
كَأَنَّكَ يَا سَيِّدِي قَدْ تَأَكَّدْتَ
أَنَّ غَدًا سَيُوافِقُ عِيدًا شهيدا؟

زفرة الرِّفْضِ

غالبًا: كان يمشي وفي يده نصفُ رشاشةٍ بين شارعينا
والحديقة

يَسْمَعُ الناسُ خُطواته ذاهبًا قادمًا نحوهم..
يتغافلُ عنَّا ونحنُ نشقُّ الطريقَ إلى بعضنا.. ويشقُّ
طريقه

لا نرى وجهه، لا يرانا سوى نظراتٍ رشيقه
مرةً غابَ عنَّا..
فقدناه..

أخبرنا قبره بالحقيقة.

حمزة الخطيب

وتأخذنا حيرةً بين خوفٍ عليه..

وحُزْنٍ لذكِ الفتى

وتأخذنا دمةً طفلةً حين نكتبُ

.. هُذي الكتابةُ حتى متى؟

وتأخذنا دهشةً في حياتك، أو لا حياتك:

هل دامت!

كبرتَ كثيرًا، كثيرًا

أيا سيّد الشهداءِ الصغارِ..

أيا حمزتا.

النَّحْبُ

أما آن أن تستعيدوا طفولتكم يا صغار؟

ألم تلتئم في حناجركم شفراتُ التَّار؟

ألم تلتقوا بالملائكِ والشهداءِ أخيراً..

وبعدَ انتظار؟

فما كلُّ هذا الصراخِ الذي يَقِصِفُ الكونَ..

يُخنِّقُ أنفاسنا كالغبار؟

وماذا تركتُم لأحلامنا بعدكم

غيرَ هذا الدَّماز؟

دعونا نَنمَ ليلةً دونَ أن تَظهِروا في كوابيسنا..

يا الذينَ قَضُوا نَحْبَنَا تحتَ هذا الحصارِ.

بين الحرب والسلام

بين مَنْ يصنعون الحُرُوبَ، وَمَنْ يَطْلُبُونَ السَّلَامَ:

هُنَا يَسْقُطُ الشُّهَدَاءُ

وَالْمَكَانُ الَّذِي يَسْقُطُونَ بِهِ..

وَالْمَكَانُ الَّذِي تَلْتَقِي فِيهِ أَعْيُنُنَا بِالدِّمَاءِ

لَيْسَ أَرْضًا..

سَاءٌ،

سَاءٌ،

سَاءٌ.

لا صوتَ يعلو فوقَ صمتِ الشهيدِ

ذاك المسجّي، والوحيدِ.. الوحيدِ

وطنٌ ووحيدٌ

ودمٌ يراقُ من الحدودِ إلى الحدودِ

وصدًى من الوادي البعيد:

لا ترفعوا أصواتكم..

نامَ الشهيدُ

لا صوتَ يعلو فوقَ صمتِ بني اللُّحودِ

عشق

بيني وبين قاتلي مسافة قصيرة

يتبعني منظاره..

بدون أن أعيره

أي انتباه واضح

أو نظرة كسيرة

بيني وبين قاتلي.. رصاصة صغيرة

تعودت أن تكتب النهاية الأثيرة

وتمنع الهواء من زفرته الأخيرة

.. لا يكتب الرصاص للإنسان أي سيرة

إلا إذا استنفد ما في العشق من ذخيره!

الصاعدون من سوريا

قمرٌ للشهيدِ
صاعداً للبعيدِ

وردةٌ للشهيدةِ
تركتُ يا سَمِينَتَهَا..
تركتَهَا وحيدةً.

موقف الجنازة

استوقفني قائلاً:

ما الفناء إذا اختار لي أن أعيش حياةً جديدةً؟
ولما تبعنا جنازته:

كان ثقبٌ طريٌّ على قلبه

كان كالنخلٍ مُتجهًا للسماءِ البعيدة
هناك فراغٌ من المتخيلِ جمَّ المراتبِ، مُستترِ الأدواتِ..
سأكتبُ فيه القصيدة.

صبا..

هناك سنحيا معاً من جديد
هناك ستنمو تقاسيمٌ وجهي الذي أكلته الشظية..
أثناء عاصفةٍ من حديد
هناك سيلتئم الجلدُ بعدَ الحريقِ..
ويختلفُ الفحمُ والمِسْكُ:
أيُّهما يستحقُّ الشهيدُ؟
هناك ستنبُتُ حَجْرَةٌ ذُبِحَتْ كَمَقَامِ الصَّبَا..
لتُواصلَ ضبطَ النشيدِ
هناك ستعلو يدُ فصلتها عن الشمسِ بارودةً من صديدٍ
هنالك..

في المستقرِّ القريبِ - البعيدِ.

أدوار

ولا شيء، لا شيء..
أشتاق للشهداء فأكتب عنهم
وأطلق من كلماتي السَّجِينَهُ
وفي كُلِّ يومٍ أفكرُ:
كم غابَ بين الحواجزِ من حلمٍ للقتيلِ..
وهم يُسْعَفونهُ؟
وكيف تألَّم ذاك الصَّغيرُ..
وقد أحرَقوا وجهَهُ وجُفونَهُ؟

وماذا تقولُ الشهيدةُ وهي تصدُّ الرصاصَ عن ابنتِها..

فتموتُ الحنونةُ؟

وكم كانَ يصرخُ من حطَمِ السقفِ أضلاعهُ

وتهاوى الجدارُ عليه.. فشلَّ أنينهُ؟

ولا شيءَ، لا شيءَ آخرَ غيرُ الشهيدِ..

ولكنني اليومَ أغرقُ في دمه حينَ أكتبُ عن موتهِ

.. وأحسُّ بأنَّ يمينيَ صارتَ يمينه.

عتاب الياسمين

تعاتبني الشامُ:

لا تتحدّث كثيرًا عن الموتِ في حَضرةِ الأُمْنِياتِ
فلي ياسمينُ يعبرُ عن عطره كيفما كان..

لي الجامعُ الأمويُّ قديمُ الثباتِ
وحنجرةٌ حرةٌ أسمعك البعيدَ من الأغنياتِ
تعاتبني الشامُ..

يا شامُ، شيءٌ من الخوفِ والجوعِ والنقصِ في
الثمراتِ..

غداً يتدفقُ بالصبرِ نهرُ الحياةِ.

جثث صغيرة

جثثٌ صغيرةٌ

مرّت على القنّاصِ .. فاقترفَ الذخيرةَ

ما عادَ في بلدي سوى موتى وأشباحٍ وأحياءٍ فقيرٍ
هجرَ السُّنُونُ ظِلَّهُ ..

والحُبُّ ساعتهُ الأثيرُ

شالوا النزوحَ حقيبةً

ومشوا على الطُّرُقِ الضَّريرةِ

وتلّوا على صمّتِ المقابرِ بعضَ سُورَةٍ

للناسِ أحلامُ السنينِ ..

لنا دقائقُ الأخره

لا وقتَ للأحلامِ بينَ البندقيةِ والضحيَّةِ

.. كم سعادتنا قصيرة!

موال

تعلّم بُكاءك مِن هؤلاءِ الكرامِ:
يتيمٍ يرى أمَّهُ كل يومٍ تعانقهُ في المنامِ
بريءٍ يجرُّونهُ للحبالِ..
ويُتركُ مثلَ الحُطامِ
ومعتقلٍ لا يرى غيرَ جثَّتهِ في الظلامِ

جريحٍ أشلَّ .. يحاولُ .. لا يستطيعُ القيامُ
ذبيحٍ تقولُ السكاكينُ عنه ما لا يُطيقُ الكلامُ
ومنتظرٍ صابرٍ في الخيامِ
تعلم، تعلم..
وفرَّق مواويلَ دمِعِكَ من بعدها:
بين متَّجهٍ للسماءِ..
ومختنقٍ في الرُّكامِ.

الحرُّ

أنا المعتقلُ

أنا مُ وراءَ السَّياجِ على أملٍ ..

حيثُ لم يبقَ في السجِنِ غيرُ الصَّدى والأملِ

وأصحو على شكلِ حُرَّيتينِ:

لكم، ثمَّ لي

.. هكذا أنا، كالصقْرِ:

أدنو من الأرضِ متبهاً للمسافةِ بيني وبين الجبلِ.

[ستعود]

خُذُونِي أُودِّي إِلَيْهِ الرِّسَائِلُ

أَقُولُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ السِّيَاحِ:

سِيَاحُكَ زَائِلُ

صَغِيرُكَ مَا زَالَ بَيْنَ عَيْونِكَ يَرَعَى صَغَارَ الْفَسَائِلِ

وَصَحْبُكَ يَنْتَظِرُونَ رُجُوعَكَ.. مِنْ أَجْلِهِمْ عُدُّ

وَكُنْ يَا صَدِيقِي قَوِيًّا..

فَمَا زَالَ حُلْمُكَ فِي السَّنَوَاتِ الْأَوَائِلِ

أَسْأَلُ عَنْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي ارْتَجَفْتُ، وَأَسْأَلُ..
خِيولَكَ جَامِحَةً، وَرَعِيلَ الْأَيَّامِ
وَأَبْحَثُ مِنْ أَصْدِقَائِكَ عَنْ خَيْرِ مَتَفَائِلِ
.. أَتَذْكُرُ إِذْ قَلَّتْ لِي: «سَتَعُودُ»؟
فَمَا أَنَا بَعْدَ اعْتِقَالِكَ قَائِلٌ؟

مقام الوحدة

بمُفْرَدِهِ..

لا يرى أحداً، لا يراه أحدٌ

تمرُّ عليه الخيالاتُ، تأخذه للخزامي..

خزامي بقايا البلد

فيضحك في عتمة الوهم حتى يهز السلاسل في

قدميه..

ويصحو وقد قرنت يده بالوتد

حناناً له..

كلما اقتربوا منه لملم أطرافه وابتعد

بمفردِهِ..

بالظلام وبالنور واليأس والأُمْنِيَاتِ انفرَدَ.

قمر الشعراء

أقولُ إذا وصلتني القصيدةُ من شاعرٍ مُنتظرٍ:
تُرى.. كيف كان يوازنُ أسطرَها في ظلامِ الحجرِ؟
وكيف سيحملُ في يدهِ أدواتِ الكتابةِ..
والقيدُ يجمعُ كفيهِ كي لا تُخطَّ الصوَرُ؟
ومن أينَ هذا الخيالُ الكريمُ؟!
أحقًا بساتينُ أرواحكم خضرت في الزنازين؛
فانحدرت أنهرٌ وتعالى شجرٌ؟
لعلك حين تُسربُ قلبك للأصدقاء.. تقولُ لهم:
ما أزالُ أحبُّ.. وما زالُ للشعراءِ قمرٌ.

العودة كشهد

رحيلٌ جديدٌ..

وها هم على أثرِ القصفِ يقتسمونَ الحدودَ

تُداري البكاءَ كرامتهم..

فتسيلُ دموعُ الوجودِ:

أتركُ منزلهُ عاشقٍ..

ويعودُ إليه الشَّهيدُ!

اختيارات

يقولُ المهاجرُ:

خرجنا.. ولم تبقَ ذكرى لنا أو بشائرُ

مراقٍ إلى الشهداءِ..

سَاءَ قذائفُ..

دربٌ إلى كُلِّ بؤسٍ يُسافرُ

إلى أيِّ شيءٍ سأطمحُ غيرَ الغيابِ؟

سأختارُ واحدةً من ثلاثِ المصائرُ

سلامٌ على بلدٍ صاحبتُهُ الحروبُ طويلاً..

ومعظمُ أحلامه في المقابرِ.

عاصفة الزعتري

إلى المنطوينَ على دفءِ أحلامِهِمْ:
هل مررْتُم على أهليْكُمْ في المخيمِّ؟
هناك دُمي الثلجِ بيضاءً، جمَدَ أطرافها البردُ..
صمَاءُ، أحرقَ أنفاسها زمهريُّ الشتاءِ..
فلا تتكلمُ

ترَكْنَا جحيمَ القذائفِ فاستقبلتْنا الرياحُ العواصفُ..
لم ندرِ أيُّهما كانَ أرحمَ؟
ولسنا لنحسدَكم
فلنا مثلكم ووطنٌ دافئٌ، ولنا، ولنا...
ولكننا نتألمُ.

يمشي في الغربة..

يمرون بي

لدى بابِ جاري الذي جاء والده منذ عام..
ومن ذلك الوقت يسأل عن أهله في دمشق..

وجاري يطمئننه: لا تحف يا أبي

يمرون بي

صغار غريون عن حيننا..

فأراقب لهجاتهم، وأخمن: هذا من الدير، ذلك من

حمص..

تجمع غربتهم ساعة المغرب

يَمْرُونَ بِي

أَتَابِعُ أَحْزَانَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ هُنَا وَهَنَاكَ..
أَحَاوِرُ أَعْيُنَهُمْ: كَيْفَ حَزْنُكَ لَمْ يَذْهَبِ؟

يَمْرُونَ بِي

وَأَمْرُهُمْ دُونَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي مِثْلُهُمْ فِي اغْتِرَابِي..
وَلِي مِثْلُهُمْ شَجْنٌ وَانْتِمَاءٌ إِلَى قَلْقِ الْوَطَنِ الْمَتَعَبِ
يَمْرُونَ بِي...

غَيْث

وَيَأْخُذُنِي الْجَرْحُ فِي مِثْلِ هَذَا الشِّتَاءِ شَمَالًا
هُنَالِكَ..

حَيْثُ أَقَلَّتْ رِيَا حُ الْجِبَالِ سَحَابًا ثَقَالًا
تَعَالَ إِلَى بَلَدِي أَيُّهَا الْغَيْثُ.. إِنَّ احْتِبَاسَكَ طَالَا
تَعَالَ هُطُولًا، تَعَالَ عُبَابًا
تَعَالَ سَرَابًا، تَعَالَ خَيَالًا
كِرِهْنَا مُوَاجِهَةَ الْمَوْتِ بِالشَّعْرِ..

لَا بَدَّ مِنْ «مَطَرٍ» يُحْمِدُ النَّارَ فِي دِمْنَا، وَيَزِيدُ الْكَلَامَ
جَمَالًا

وَلَا بَدَّ مَنَّ يُوَلِّفُ بَيْنَ السَّحَابِ وَيَرْكُمُهُ..
لِنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَلِ الْمُنَنِ عَذْبًا زُلَالًا.

جنية

نسيْتُ سورياَ التي مِن زمانُ
نسيْتُها..

أو ما عرفتُ المكانُ
تغيرتُ صورتُها..

بعدَ ما غطَّى مغانِئُها سحابُ الدُّخانِ

ما عادَ في ذاكرتي مَوْضِعٌ

إلا عليه أثرُ الصَّولجانِ

من يوقِفُ الموتَ لنحيا كما كنَّا..

على جُنيّةٍ من جنانٍ؟

قيس..

ولكن..

ولكنني قبل أن أترك الشامَ شامخةً في المدائنُ

مررتُ على الذكرياتِ جدارًا جدارًا..

وعانقتُ تلكَ المساكنُ

وأذكرُ أنني وقفتُ بميدانها..

وتأملتُ «بابَ مصلى» وما حوله من مآذنُ

سريعًا مضى الوقتُ..

أكملتُ منعطفي

والتفتُ إليها.. كقيسٍ يودّعُ ذاتَ عُيونٍ دواكينُ

ولكن...

أسراب اليمام

حمصٌ..

بابُ السَّبَاعِ..

لدى ساعةِ الفجرِ..

حينَ تمدُّ الجِنانُ زغاريدَها ويديها إليّ..

أطمئنُ نفسي بآني لأبوابها لن أعودا

وعلى حمصٍ أرسمُ قلبًا

وأبكي إليه

وأجمعهُ في يدي

ثمَّ أتركهُ للرياحِ

وأبعثهُ في السماءِ.. بعيدًا، بعيدا

ثُمَّ يَا حَمِصُ..

هل يتغيَّرُ شيءٌ إذا غبتُ عنكَ لأكثرَ من ليلةٍ..

خلفَ آسٍ يتيمٍ وشاهدةٍ نحتوا فوقها اسمي؟

وهل ستكونين.. حين أكونُ سعيداً؟

.. أمنعُ الآنَ سردي من حُزنيه

- لا أريدُ الحديثَ إلى ألمي -

سأقدمُ بعضَ الملبَّسِ للزائرينَ

والحقُّ سربَ اليمامِ..

لأسقطَ قبلَ اكتمالِ النهارِ شهيداً.

بَابُ عَمْرٍو

وَعَادَ إِلَى مَا تَبَقَّى مِنَ الْحَيِّ هَمْسُ الْأُذَانِ

وَعُدْنَا إِلَى بَعْضِ مَسْجِدِهِ..

حَيْثُ كَانَتْ لَنَا فِيهِ تَكْبِيرَتَانِ

وَكَانَتْ لَنَا دَمْعَةٌ.. وَاثْنَتَانِ

رَكْعَتَانِ..

وَطَالَتْ بِنَا الرَّكْعَتَانِ

ومدَّ الإمامُ طريقَ السجودِ لنا..

فعبَرنا المكانَ

إلى جَنَّةٍ دُونها جَنَّتَانُ

أمانٌ.. أمانٌ

وماذا على رَجُلٍ أعلنَ الفجرَ في بابِ عمرو بنِ يَكرِبَ

إِلَّا الأمانُ.

النداء

وفي ذلك الحَيِّ مِئذنتانُ
تصيحانِ في كلِّ يومٍ بُعِيدَ الأذانِ:
فقدنا الشهيدَ فلانُ،
فقدنا الشهيدَ فلانُ
.. فوا عَجِبي يا زمانُ
حَرَستَ التي عشتُ فيها شتاءَ القصيدةِ..
صارتُ ربيعاً
وبوابةً لدخولِ الجنانِ!

جذور معلقة

مدينة دوما - لمن لم يسافر إلى جرحها - :

تري بين شرق حرستا وبين القمر

تخبئ زيتونها..

حين يرحل سكانها للملاجئ

أو يتركون لصمت الحفر

مدينة دوما قدر

لقد بذرت دماها في السماء..

ولم يبق إلا سقوط المطر.

فُرات

على جانبيّ الفُراتِ يُقامُ العزاءُ
يقولُ المعزُّونَ للواقفينَ على البابِ..

في حيرةٍ وحياءٍ:

«تقبَّلهُ اللهُ في الشُّهداءِ»

فترتفعُ الزَّغرداتُ إلى آخرِ النهرِ
.. كم أنا في حاجةٍ حينها للبكاءِ.

[زهر الغوطتين] ٢١ / ٨ / ٢٠١٣

تركتُ صِغاريَ هناكَ..

وقد ماتَ كلُّ الصِّغارِ

بعيني رأيتُ زبانيةَ الغازِ تخنُقُ أنفاسَهُمْ

وَيُبطِئُ شديدٍ تعذُّبُهُمْ..

ويبطِئُ يمرُّ النهارُ

هنالكَ، شرقَ دمشقَ، صباحًا

.. وكان الهواءُ يحاصرُنَا، كانَ سامًّا ولم ننتبهُ باكراً

واحتَمَى بي الصِّغارُ يصيحونَ:

كيف سنهربُ؟

.. يا ولدي، كيف نهربُ إن كانَ هذا الهواءُ الحصارُ؟

دَارِيَا

- جاهزون؟

- نعم سيّدي

والسكاكينُ، والنازُ تكْمُنُ في فوّهاتِ البنادقُ

جاهزون..

وننتظرُ الإذنَ كي نستبيحَ الرّقابَ، ونعدِمَ أحلامَهُم في

المشائِقُ

ساعتان..

ولا أثرٌ للحياة، ولا قمرٌ في الحرائقُ

وتعودُ البَيَادِقُ في إثرِ سيِّدِها..

وتعودُ البَيَادِقُ

ساعتانِ إضافيتانِ..

وتختلطُ الأُغْنِيَاتُ معَ الزَّغْرَدَاتِ

وتَحيا الحَدَائِقُ!

.. هُنَا، حيثُ يَنشغَلونَ بفعلِ الخياليِّ

حتى يُرى كالحقائقِ.

جَدِيدَةُ الْفَضْلِ

الجَدِيدَةُ، نَيْسَانُ، لَيْلًا:

هنا خَمْسُ مِائَةِ قَبْرِ وَقَبْرُ

مِنْ هُنَا مَرَّ جُنْدُ الْعَصَابَةِ.. مَرُّوا:

القَنَائِصُ مَبْثُوثَةٌ فِي الْمَمَرَاتِ

وَالدَّمُ بَحْرُ

وَالسَّكَاكِينُ تَقْطِفُ أَعْنَاقَهُمْ

.. أَيْنَ مِنْهَا الْمَفْرُ؟

وَالقَنَابِلُ تَنْشُرُ أَشْلَاءَهُمْ

وَالْحَرَائِقُ لَا تَسْتَقِرُّ

لا خيال..

ولا تُستساغُ الكنايةُ حينَ يقطعُ طفلٌ ويُحرقُ حرٌّ
.. الجديدةُ - في الريفِ - ظلُّ الأذانِ الوريْفِ.. وفَجْرُ

سنشيعُ أرواحهم للسمواتِ..

حيثُ الحقيقةُ سحرُ

ربَّما ير حلونَ..

ولكنَّ أحلامهم تستمرُّ.

نهر قويق (حلب)

أيها النهر..

هل شربوا من حياتك قبل الرّحيل؟

أم مضوا ضامرين..

عطاشاً إلى رشفة السّلسيل؟

هل رأيت الرّصاص يُساقطهم.. والضّحايا تميل

نخلة نخلة؟..

حسرتاه على باذخات النّخيل

أيها النهر..

قد كنت ماءً يمرُّ..

فكيف انقلبت دماءً تسيل؟

كان يلهو على جانبك الحمام..
فكيف يموتُ على جانبك الهديلُ؟
أيها النهرُ..

يا كوثر المتعبين النَّبيلُ
كيف وارتتهم في الصباحِ
.. الصباحِ القتيلُ!

دَفْنَاهُ فِي غِيْمَةٍ

الذي ماتَ بِالْأَمْسِ كَانَ صَغِيرًا..
دَفْنَاهُ فِي غِيْمَةٍ بَيْنَ دَرَعَا وَبَيْنَ دِمَشْقَا
وَكَانَ يَحَاوِرُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ:
- لَا تَقْتُلُونِي..
لَأَنَّ دَمِي دَمَكُمْ
وَلَأَنِّي إِذَا مِتُّ تَبْقَى دِمَشْقُ وَدَرَعَا.. وَأَبْقَى
وَلَا تَقْتُلُونِي..
لَأَنِّي إِذَا مِتُّ تَنحِدِرُونَ.. وَأَرْقَى!
وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ قَتْلَةٍ..
فَلتَكُنْ دُونَ قَلْبِي

لأنَّ الرَّصاصةَ والقلبَ قد يتركانِ قتيلاً..

وقد يتركانِ قتيلاً وبرقا

.. يُداهِمُهُ «شَبْحٌ» خُلْسَةٌ

ويُضِيفُ إلى صوتِهِ طَلْقَةً -

وسَمِعنا نِهايةَ هذا الحِوارِ:

- الرَّصاصُ يعبُرُ عنكَ..

ومَوتِي يعبُرُ عَنِّي..

ويَعنِي لغيرِي وُجودًا.. وعِشقا.

.. لا أُفَرِّقُ بينَ صَغيرينِ غابا معًا

لم أَجدُ بينَ مسكِ الشَّهيدِينِ فَرقا

ولا أَتجاهلُ عطرَ المِداثِينِ حينَ أُحْصِ دَمَشقا.

القبير (ريف حماة)

في المساءِ الأخيرِ
عندما يُشعلُ الشُّهداءُ..
ظلامَ القبورِ
تنزعُ الأرضُ أكفانها..
وتثورُ.

ضِدِّيَات

الْبُيُوتُ الَّتِي انخَفَضَتْ لِلتُّرَابِ
بَعْدَمَا سُيِّدَتْ فِي السَّحَابِ
وَالرِّجَالُ الَّذِينَ انْتَهَوْا لِلرَّمَالِ
بَعْدَمَا عَلَّمُونَا الْجَمَالَ
وَالصِّغَارُ الَّذِينَ ارْتَقَوْا لِلسَّمَاءِ
بَعْدَمَا حُوصِرُوا بِالشِّتَاءِ

والفتاةُ التي اشتَمَلتْ بالحنينِ
بعدَ أنْ خُطِفَتْ في الكَمينِ
والليالي القصيرةُ.. تلكَ الليالِ
بعدها امتدَّ حُزنٌ وطالُ..
(في ثنائِيَةِ الموتِ بعدَ الحياةِ
أملٌ لا أراهُ.. أراهُ).

موقف الرؤيا

استوقفني قائلاً:
كلما اقترب الظلم من حتفه..
ازداد ظلماً
إنهم خائفون..
ولا شك، فالخوف أعمى
ولذا قصفوا غدنا قصف عشواء..
فاهتزَّ حلماً!

كتف الحي

على كَتِفِ الحَيِّ تَلْمَعُ عَيْنَاهُ كَالجَمْرَتَيْنِ
يَعَالِجُ فَوْهَةَ البُنْدُوقِيَةِ مِنْ خَلْفِ مَخْبِئِهِ..
وَيَعُدُّ الرِّصَاصَ كَتَسْلِيَةٍ بَيْنَ بَيْنٍ
وَيَنْتَظِرُ العَابِرِينَ..

وَيَنْتَظِرُ العَابِرِينَ لِيَخْتَارَ مِنْ بَيْنِهِمْ قَمْرَيْنِ
إِلَى أَيْنَ تَأْخُذُ أَقْمَارَنَا..

أَيُّهَا الحَالِكُ المْتَمَرِسُ فِي الظُّلْمَتَيْنِ؟
أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّمَاءَ إِذَا انْطَفَأَتْ نَجْمَةٌ..
أَشْعَلَتْ نَجْمَتَيْنِ؟

فضيلة الانتماء

أنتمي

للسهيد، الذي لم يجد ما يليق بنا غير هذا الدمِ

أنتمي

للمحبة، كي لا تفرق بيني وبين أخي موجة الندمِ

أنتمي

للتفاؤل، من دونه ما عرفتُ الطريقَ إلى حلمي

(هكذا قال حُرٌّ تلثَّم بالعلم).

[أديم الأرض]

يقول المعريُّ:

خَفَّفَ مَسِيرَكَ فِي الْأَرْضِ .. إِنَّ التُّرَابَ
مَلِيءٌ بِأَجْسَادِ مَنْ أَوْغَلُوا فِي الذَّهَابِ
فَمَاذَا نَقُولُ ..

وَقَدْ بَلَغَتْ جِثُّ الْأَبْرِيَاءِ عَنَانَ السَّحَابِ،
وَقَدْ مَاتَ حَتَّى الْكَلَامُ ..
فَلَا قَبْرَ يُؤْوِيهِ إِلَّا الْكِتَابُ؟

هاجس

الشهيدُ الذي كان يَحْرُسُ في لَيْلِهِ حُلْمَنَا
لم يُعِدْ عندهُ ما يقدِّمُهُ لي، لَكُمْ، ولَنَا
غَيْرُ ذِكْرِي تَبَلَّغْنَا الوَطْنَا

ودم واضح..

يتجددُ في كلِّ ثانيةٍ زَمْنَا

ربَّما يرحلُ الشهداءُ..

ولكنَّهم يَتَرَكُونَ هَوَاجِسَهُمْ عندنا.

القيد

وقلتُ لهُ في اللقاءِ الأخيرِ:
أقلَّ من الحزنِ يا صاحبي..
لا تُكنْ في سَلاسلِهِ كالأسيرِ
فليسَ لأحزاننا غيرُ صبرٍ جميلٍ .. مَريرِ
فقال: نعم..
وانتظارٍ لما سوفَ يُلحِقُنا مِن مصيرٍ...

في الغيب

ولسنا بمُنْعَزِلِينَ عَنِ الْأَمَلِ الرَّحْبِ..
لكنها العينُ تَدْمَعُ، والقلبُ يَحْزَنُ
لنا حلمٌ لا نراهُ
ولكننا في تفاصيله نتوطنُ
تمنّوا..
ولكن تأنّوا
فما زال في الغيب ما يتكوّنُ.

عَيْنَانِ

وعندما التقطوا لي صورةً..

خفقت عيناَيَ

والقفصُ الصدريُّ عادَ لهُ هذا الهوائُ

ومرَّت في يديَّ الرُّوحُ:

أنا شهيدٌ سيحيا رغمَ جُثَّتِهِ الصفراءِ

.. لكنَّ هذا الحُلْمَ مذبوَحُ.

موقف الرثاء

استوقفني قائلاً في مقام الرثاء:
لا أريدُ البكاءَ على غائبٍ
ترتقي روحُهُ في السماء
فأنا أبحثُ الآنَ عمَّن يشاركني رغبتني في البقاء
إنَّ للأرضِ أحلامها..
وانتهاءَ الحياةِ لديَّ ابتداءً.

الْحَوْلَةُ / الصَّدى

تُرى هل أتاك حديثُ الجنودِ وهم يدخلونَ المدينة؟

وهم يدخلونَ المدينة؟

تنادوا ونحنُ نيامٌ.. وقد غَشيتنا السَّكِينَةُ

وقد غَشيتنا السَّكِينَةُ

وفاجأنا الصوتُ: قوموا.. إلى موتِكُمْ هادئِينَهُ

إلى موتِكُمْ هادئِينَهُ

وحاصرنا الموتُ.. لم نتبادلَ عناقًا أخيرًا، ولم نروِ أيَّ
أغانٍ حزينه

ولم نروِ أيَّ أغانٍ حزينه
لأنَّا إذا طرأ الموتُ نستقبلُ الضوء.. والأُمْنِيَاتِ الأَمِينه
وننسى الحياةَ التي عندما حرَّرتها السكاكينُ من سجنِها
أصبحتُ ياسمينه
.. نعم، أصبحتُ ياسمينه.

خيال الشام

جديدٌ أنا في شوارعِها.. وقديمٌ
أغيبُ قليلاً إذا انتشرَ الضوءُ بين بلايلِها والغيومِ
وأحتاجُ للشعراءِ مساءً..
كحاجتِهم للخيالِ الكريمِ
(يقولُ عن الشامِ حزنٌ مقيمٌ).

قلب وأمنية

لهذا الشهيد إذا مات أمنيتان:
فأمنية تنتهي بحضور المصير
وأمنية تبدي باخضرار المكان
أليس جديرًا بقلبك أن يتقاسم حلم الشهيد وحلم
البلاد؟..

فما زال في القلب مُتَّسِعٌ لارتكاب الأمانى
ولو ساعةً - يا أخي - من شتاء الزمان.

كوثر

واشهيذ

سأزورك يوماً.. وأجلسُ قُربَكَ مشتملاً برِداءِ المُريدِ
فلعلَّكَ تُسمِعني بعضَ ما قالَهُ الموتُ عن مُرتقائكُ

الفريدُ

واشهيذ

إنَّ رائحةَ الحربِ تملؤني بالنشيدِ

وأنا لا أُريدُ

أن أكونَ سِوى كوثِرٍ من قصيدِ.

قلبي.. والوداع

وداعاً.. وداعاً بُنيّ

تمنيتُ لو كنتَ يا ولدي في مكاني.. تصليّ عليّ
وتحملني نحوَ قبري صبوراً.. تُعيدُ الترابَ إليّ

ولكنْ سبقتَ أباك ببعضِ الشّطايا التي..

طوّتْ عُمرَ أمنيّتي أيّ طيّ

بُنيّ، مكانك بين القذيفةِ والقلبِ..

حيثُ رأيتَ السماواتِ ضاحكةً لك، والأرضَ باكيةً

في وداعك

.. يا ولدي أنتَ حيٌّ وحيٌّ وحيٌّ.

أحزان مختلفة

ويختلفون على غدِهِمْ:
هل سنتركُ سِجْنًا لنسكنَ سِجْنًا؟
ويختلفون على الأُمْنِيَاتِ:
وهل يسمَحُ الموتُ أن نتمنَّى؟
ويختلفون على صمْتِهِمْ:
لم يعد للكتابةِ معنى
ويختلفون على كلِّ شيءٍ..
ويتفقونَ على حُزْنِهِمْ..
فهْمُ أكثرُ الناسِ حُزْنًا.

السِّر

سلامٌ على الشهداء.. فما زلتُ من صمتِهِمْ أتعلّم
يعلّمُنِي صمتُهُمْ كيفَ أصغِي إلى آخرِ العُمُرِ؟
كيفَ أفْتَشُّ عن صرْحَةِ السُّجْناءِ الأخريرةِ في الغيبِ؟
وهو يعلّمُنِي كيفَ أقرأ غُصَّةَ لاجئَةٍ حينَ تروي
تشرُّدها دونَ أنَ تتكلّمَ
ومهما تعلمتُ منهم..

فلنَ أستطيعَ الوصولَ إلى السِّرِّ فيما رآهَ الشهيدُ لدى
موتِهِ فتبسّمَ!

(يقولونَ إنَّ الشهيدَ يُفهرِسُ آلامَهُ في مشاعرِنَا..
ولذلكَ لا يتألّمُ).

بقايا العطر

تركنا كثيرًا من العطرِ يا بلدي في الطريقِ إلى الآخِرَةِ
لكي يتذكَّرنا أهلُّنا حين ينبعثُ الياسمينُ من المَقبرَةِ
ويلتفتوا قائلينَ: سلامًا على أجملِ الناسِ..
مَنْ زرعوا الوردَ في أُصْصِ المِجْرَةِ.

وجه

تقولُ الفتاةُ التي مشَّطتُ شعرَها بالشَّظِيَّةَ:
صعدتُ بكاملِ فُستاني المَتموِّجِ كالبحرِ للجنَّةِ الأبديةِ
وما كان ينقُصُني غيرُ وجهي البريءِ
ولكنهُ ضاعَ بين اشتباكِ القنابلِ والطلقةِ الدائريةِ
لماذا يموتُ الصغارُ بأيدي الكبارِ؟
ألا يتركونَ الطفولةَ فينا لتنموَ دونَ خدوشٍ، وتكملَ
رحلتها البشريةَ؟
.. وكنا صغارًا، نرى المروحيةَ
فندحُّقُها وننادي عليها.. وتمضي بعيدًا..
ولكنها اليومَ عادتْ لتقتلنا المروحيةَ

وكانت لنا ساحةٌ نتسابقُ فيها، ونشيدُ من أغنياتِ
الطفولةِ أكثرَها بهجةً، ونشاركُ آنسةً تتهجى لنا
الأبجديةَ

ولكنها غادرتُ منذُ عامٍ

لتسكنَ بين الخيامِ

ونسكنَ مدرسةَ الحيِّ.. كي نكمِلَ النقصَ في الأبجديةِ

(عن الطفلةِ الـ رَحَلتْ دونَ رأسِ، عن البحثِ عن

وطنٍ وهويةٍ).

خبر.. ومبتداً

ويا شهداءُ، ارتقُوا وارتقوا واحداً واحداً
سنكْمِلُ أياْمنا بالنداءِ..
ونسْمعُ أصواتكم في ضمائِنا.. في الصّدى:
لنا خبرٌ في أقاصي السماءِ..
وفي الوطنِ المُبتدأِ
ولو شقَّ قلبُ الشهيدِ لأشرقَ من قلبه بردى.

بقاء مرّ

استوقفني قائلاً: إنهم يقصّونَ المدينةَ قصفاً
أنا لن أسافرَ خارجَ خارطتي أيّها الموتُ..
فازدَدَ على العُنْفِ عُنفاً
.. ولم يكثرِث حينَ كانت تهاجرُ منه العِصافيرُ رَفّاً
فَرَفّاً.

جِراحِ القَرْنفلِ

كما يَكْتُمُ القَلْبُ سِرًّا..
ستحفظُ الأَرْضُ بالشُّهَداءِ الكرامِ كما يَكْتُمُ القَلْبُ
سِرًّا

لأنَّ الغيومَ إذا لمَحَتْ نورَهُم تنحني بيدِ الرِّيحِ..
ترفعُهُمُ للسماءِ بدرًا فبدرا
هناك الشَّهيدُ يَضُمَّ طَعنتَهُ..
وتعودُ جِراحُ القَرْنفلِ خُضرا.

العودة

وكان لغيبتهم أثرٌ في جدارِ الحنينِ
فعادُوا.. وكادت ملامحُ ضحكتِهِمْ أن تَبِينُ
ولم يَعْلَمُوا ما يَحْبِبُّهُ الحُزْنُ لِلْمُتَعَبِينَ
نعم..

عانقُوا أَهْلَهُمْ صامِتِينَ
ولم يُخْلِفُوا وَعْدَهُمْ لِشُجِيرَةِ تِينِ
فَمَدُّوا عَلَى ظِلِّهَا عُمْرَهُمْ، وَبَقُوا تَحْتَهَا.. مَيِّتِينَ.

صديقة الخراب

فقدنا كثيرًا من الأصدقاء.. من الذكريات
وكانوا على قربِ بيتينِ منّا..
وكانت على بُعدِ يومينِ من غدها الأُمْنِيَاتُ
ولكنها الحربُ تَنبُتُ في تُرْبَةِ الموتِ..
لا تنتهي الحربُ إلا إذا اكتظَّتِ الأرضُ بالجُمُجَمَاتِ
وتبقى الحياةُ صديقتنا..
وتظلُّ الحياةُ.

حُرَّاسُ الْغِيَابِ

حَرَستَا،

صَبَاحًا،

وَبَعْدَ انْسِحَابِ الْجُنُودِ مِنَ «الْكُوعِ» نَحْوَ حَوَاجِزِهِمْ

لِيَنَامُوا وَيَنَسُوا قَنَائِصَهُمْ

كَانَ قَلْبِي يَمْشِي فِي يَدِهِ طِفْلَةً..

كَانَ يَسْأَلُ عَنْ أَهْلِهَا وَاسْمِهَا؟

- طَلْقَةٌ .. رَبَّهَا طَلَقْتَانِ .. -

الذي كان يسألها غابَ (فرَّقَ بينهما الموتُ) ..

لكنها بقيت في الطريق تدورُّ عن أهلها النازحينَ

وتحمي البساتينَ ..

والميتينَ

(عن الطفلة الـ ضاعَ حُرَّاسُ أريافِها / عن حرستا).

كانوا هناك

ولما نَجونا من الموتِ واستقبلتنا الحياةُ..

تذكرنا الشهداء!

ونحنُ الذين نسينا أساميهم ومقاتلهم في طريق

النجاة..

فأيُّ وفاء؟!

على العتبة

جثّةٌ عندَ بابِ البناءِ:

رجلٌ في الثلاثينِ من حُزنِهِ.. يشبهُ الشهداءَ

ربما جاءَ من شدّةِ البردِ.. حتى يعودَ سريعًا إلى أهلهِ

ويدثّرهم بلباسِ الشتاءِ

بلباسِ الشتاءِ القديمِ.. كما يفعلُ الفقراءُ

ربما اشتاقَ منزلهُ.. فأتى خُلسةً ليعانقَ أبواهُ.. ثم

عاهدَهُ أن يُعيدَ اللّقاءَ

ربما كان مختبئاً ريثما يهدأ القصفُ، أو كان يطرقُ

أبوابهم في حياءَ

ربما كان يجرسُ بيتاً هوى عن مفاتيحه أحدُ الأصدقاء

ربما كان ضيفاً خفيفَ الظلالِ على جاره.. فإذا حانَ

وقتُ المساءِ

فتحَ البابَ مُحتفياً بالشُّعاعِ..

وأصبحَ ضيفَ المساءِ.

ارتباك زمني

استوقفني قائلًا: لن أغيبُ
ولم أرهُ بعدَ أن ماتَ، لم أرهُ عندما عادَ..
لا شيء، لا أثرٌ ليديةٍ على كتفيَّ..
أُناديه.. يسمُعني من هناك.. ولكنه لا يجيبُ
وما زلتُ منتظرًا وعدّه..
فهو الحاضرُ الحرُّ، وهو الشهيدُ الغريبُ.

أنفاس الورد الأخيرة

الزهورُ ممدّةٌ في ترابِ الحدائقِ
سحقتها حِرَابُ الجنودِ الذين أتوا يَحْمِلُونَ الصواعقُ
ورؤوسُ الضحايا معلقةٌ.. تتدلَّى كما تتدلَّى الزنابقُ
سَاعِدُ ثلاثينَ نوعًا من الوردِ ينبعثُ المسكُ من بينها
والبخورُ.. على رَغْمِ تلكَ الحرائقِ
وأشبهُ ظلَّ النخيلِ الطويلِ بظلِّ المشانقِ
.. في الحديقةِ، بين القبورِ وبين الزهورِ التي قتلتها
البنادقُ

أَتَنْقُلُ فِي حَيْرَةٍ: عَطَرَ أَيُّهَا سَاعَانِقُ؟

أوراق العاصفة

الرَّقَابُ التي ذُبِحَتْ بسيفِ الفناء
هل هي الآن في حاجةٍ ماسَّةٍ للكتابةِ عنها.. لنملاً
أوراقنا بالدماء؟
الحقيقةُ واحدةٌ:

أننا نتساقطُ مثلَ ثلوجِ الشتاءِ
مُتَعَبِينَ، جِيعاً، فُقارَى إلى رحمةِ الأرضِ..
لكنَّهُ القتلُ يُضفي علينا صفاتِ السماءِ
.. فانتخبُ أيها الموتُ من شعرنا ما تشاءُ.

درج النور

أُرَاقِبُهُمْ سَيِّدًا سَيِّدًا
وَهُمْ يَصْعَدُونَ مِنَ الطُّرُقَاتِ إِلَى سِدْرَةِ الشُّهَدَا
هُمُ الْبَاحِثُونَ عَنِ الْأَبَدِ الْمُتَلَأَلِيِّ، لَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَهُ أَبَدًا
تَبَسَّمَ مِنْ أَجْلِهِمْ قَمَرٌ فِي السَّمَاءِ..
وَفَاضَ عَلَى فَقْدِهِمْ بَرْدَى.

موقف الفقد

استوقفني قائلاً:

ربِّما ارتفعَ الشهداءُ وصارُوا غَمَّامَا
لَيروا مِن هُنالك: ما سنفعُلُ مِن بعدِهِم؟
.. ثمَّ ألقى عليَّ السَّلاما.

مدفأة الغريب

الغريبُ الجديد:

- أنا من قُرى حمص، كان لنا شجرٌ وافرٌ.. أحرقوه، ولم

يُحرسوا مثلنا الثمراتُ

وأبي.. يا أبي.. بينَ عينيَّ ماتُ

(كان يسرُّد قصتهُ باسمًا، وعلى زندهِ أثرٍ واضحٍ من

سُيوفِ الغزاةِ)

الغريبُ العتيقُ:

- أنا - يا بني - هُنا من زمانِ حِمَاهُ

مرَّ خمسونَ عامًا، ولم أنسَ منزلنا وطريقَ الصلاةِ
(كان يحملُ عُكَّازَ هجرتهِ واثقًا.. ويسيرُ على مَهلهِ في
ظروفِ الحياةِ)

وأنا صامتٌ.. أتأملُ كيف نورثُ آمالنا للرواة!

.. هكذا يجلسُ الغرباءُ إلى حُزْنِهِمْ..

هكذا يتواصونَ بالصبرِ في أمسياتِ الشتاتِ.

غربتان

تضيقُ البلادُ الفسيحةُ شيئاً فشيئاً
ويرحلُ عن بعضها بعضها، ويعيثُ الخرابُ بها بُكرةً
وعشياً

صغاراً خرجنا.. على أملٍ أن نعودَ إليها كباراً..
وهذا هو العمرُ تنقُصُ أطرافهُ، ويرتّبُ موتاً خفياً
خياران: إما طريدٌ بموطنه، أو شريدٌ بمنفى..
تشابهتِ الغربتان، فأَيُّ الخيارين كان أشدَّ عتياً؟
هنا، حيثُ يتبدُّ الغرباءُ مكاناً قصياً
أراهم على هيئةِ النورِ.. يلتجئونَ إلى ربِّهم سُجداً
وبُكياً.

ظِلُّ الأملِ

تُرى كيف تلكَ البيوتُ التي كانَ فيها اليَمامُ يَكنُّ؟
تُرى كيف تلكَ الشوارعُ.. كانت تَعجُّ بنا في الصَباحِ،
وتهدأُ في أمسياتِ الشَجنِ؟

تُرى كيف باتَ الغَريبُ طَعينُ حِرابِ الزَمنِ؟
تُرى كمَ بَعيدٍ يُسامِرُهُ الحَزنُ حتى تَسيَلُ دموعُ الوَطَنِ؟
يَظَلُّ يَحنُ إلى سوريَا.. وعلَيا يَئنُّ
إذا لم يَحنَ إليها.. فقلُّ لي إلى مَن يَحنُ؟

.. عَنِ الغَرباءِ، عَنِ الهارِبينَ إلى أَمَلٍ لا نَراهُ.. ولَكنَ إلى
ظَلِّهِ نَطمئنُّ.

ماذا بعد عامين؟

قبل عامين.. شاهدتها تسأل العابرين
عن شهيدٍ تنقل في طبقات الأئين
وسجينٍ وحيدٍ حزينٍ.. كنائي وحيدٍ حزينٍ
وغريبٍ يحنُّ إلى ظلِّها كلَّ حينٍ
وفقيدٍ بعيدِ الصَّدى والمدى.. لا يكادُ يبينُ
آه يا شامٌ.. يا نفحةَ الياسمينِ
ولقد مرَّ عامانٍ.. حتى متى تسألين؟

أطلال

بعد أن تَخْلُوَ المدنُ المستباحةُ من أهلها..

وتَبَسَّ ملاحمها الرِيحُ بَسًّا

ويمرُّ الزمانُ عليها..

ولا يَسْمَعُ الفجرُ للناسِ همسًا

ويُفِيقُ الركامُ على تَمَتَاتِ الفراغِ..

ليرثيَ أمسًا

بعد ذلك تُنسى المدينةُ.. تُنسى.

أنامل المعونة

بما في يديه من الحُبِّ يصنعُ من غربتهِ وطناً، ويوفِّرُ
للمتعبين الأمانا
يُطيلُ الجلوسَ إلى جرحِ صاحبه، ويُتمِّمُ: هل للجريحِ
سوانا؟
ويجمعُ ما يتيسَّرُ من واجبٍ ليُبادرَ تقديمه للحرانى
ويبحثُ عن سكنٍ للغريبِ..
وفي الليلِ لا يعرفونَ لغفوتِهِ قمرًا أو مكانا
وحين يُلحُّ عليه السؤالُ.. يقولُ:
لعلَّ إلهَ الشهيدِ يرانا.

موقف الشهيد

وأوقفني البارحة

قائلاً: لا تمرّ على صورةٍ واضحةٍ

لشهيدي.. وتمضي كأنك لم تنتبه للدماءِ على قلبه..

أو ترّ النورَ في وجهه وتقاسيمه الجارحة

قفّ مليّاً، وأكرم عيونك عند البكاءِ لديه..

ورتلّ حزيناً على رُوحه الفاتحة.

مو حرام؟

طفلةٌ كصغارِ اليبامِ
سألتني أن أرهفَ الحسَّ بين الخيامِ..
الحياةُ التي لا تراها - تقولُ - سأكشفُها لك..
فاتبعْ خطايَ إذا الليلُ غامُ
وسرّينا..

ودمغُ الصغيرةِ كان يُضيءُ الطريقَ، ويعبرُ بي في الحُطامِ
الحُطامِ الذي يسكنُ الآن فيه بقايا الكرام!

كلما سمعتُ آهَةً، سألتُ: «مو حرام؟»
مرةً أوقفَتنِي، وقالتُ: قليلاً من الوقتِ حتى أعودَ
لنُكْمِلَ رحلتنا.. فعليكُ السلامُ
ثم غابتُ كما قطراتُ الغمامِ
.. ولقد مرَّ عامٌ، وعامٌ، وعامٌ
لم تُعد..
ربما ستعودُ إذا عادَ أهلي..
أو ربما هربتُ في ثنايا الكلامِ؟

الدار

لحارة منزلنا في حرستا أحنّ
لمسجدها ولمصباحه ال نصفَ عمري سهرتُ على
ضوئه كلما الليلُ جنّ
لأشجارها في الصباح.. يُغني لأخضرها كلُّ طيرٍ أغنّ
لجارٍ أبادله كلَّ يومٍ تحيةً حُبِّ بها أطمئنّ
لصحبٍ يزورون قلبي هناك.. فأسمعُ من شعرهم،
ويقولون: غنّ وغنّ

لغرفةٍ ذاكرتي، وبها أستريحُ إلى الكُتُبِ..
ياما صحوتُ وكفّيتُ على الكلماتِ تُتابعُ رحلتها بين فنٍّ
وفنٍّ

حرّسناه.. يا ليتني اليومَ أسطيعُ أمشي إليها..
فقطُ لأقولَ لها: إنَّ صبَّكَ أنّ.

خرائط

تَلُمُّ بقايا الرِّمالِ
وتتركُ خيمتها / بيتها.. باتجاهِ السَّمالِ
تقولُ لجارتها: إنه البردُ.. لا صبرَ لي واحتمالُ
وتطوي صحيفةَ أحزانها لتجربَ حزنًا جديدًا..
كذلكَ قلبُ المهاجرِ في الحِلِّ والإرتحالِ:
حزينٌ.. حزينٌ على أيِّ حالٍ.

الآن..

وقال الذي ظنَّ أنَّ الرحِيلَا

سَيَمْنَحُهُ وَطَنًا أَوْ نَحِيلَا:

مَكَانَكَ.. وَاصْبِرْ قَلِيلَا

إِذَا لَمْ تُعِدْ قَمْرًا.. سَتَعُودُ هَدِيلَا

وَكَانَ نَبِيلَا..

وَكَانَ كَرِيمًا بَدَمَعَتِهِ حِينَ يَذْكُرُ مَاضِيَهُ وَالزَّمَانَ الْجَمِيلَا

وَلَمْ يَنْتَبَهُ أَنَّ حَاضِرَهُ كَانَ يَنْمُو.. فَسِيلًا فَسِيلَا.

هنا..

أين أنا؟

- سألت نفسها بعدما انتهت الحرب.. ليلي -

نجوتُ من القصفِ، لكنْ بدونِ حياةٍ..

وأىُّ حياةٍ أراها وقد بقيَ اللَّيْلُ ليلاً؟

أحقاً هُنا حلبٌ.. حيث كانت مواويلنا تتصادى إلى

مطلعِ الفجرِ؟!!

يا أيُّها الفجرُ أشفقِ علينا، فقد جاوزَ الحزنُ ما وَرِثَ

الصابرون..

ومالَ بنا اليأسُ ميلاً.

أرصفة

هنالك من لم يموتوا
على طُرقاتِ الشتاءِ عوائلهم والبيوتُ
مررنا عليهم زمانَ الرخاءِ كرامًا، ولم نتنبّه لحاجاتهم
والزمانُ شتيتُ
ولم نتبه في ضجيجِ المدينةِ كيف يُنُّ الخُفوتُ
سيستعمرون شوارعنا زمانًا.. فيها صحوهم والمبيتُ
عليهم إذا ذكرونا عتابُ ضمائرنا..
وعلىنا السكوتُ.

حصار

إِذَا سَتَّطَوَّلُ الطَّرِيقُ أَمَامَ الْمَدِينَةِ
سِيَّحِيَا الْحُطَّامُ بِدَاخِلِهَا وَتَجِفُّ رُويِدًا رُويِدًا.. كَأُمَّ
حزينة

سننسى أسامي أبوابها ذات يوم، ونذكر من أغلقوها
على موتنا..

ومضوا تاركينه..

أمانينا خلفهم في انتظار المؤونه

نعم.. في انتظار المؤونه

(عن اليأس ذات حصار، عن الشهداء، وحمص
السَّجِينَةُ).

قمر الجنتين

مِن شَهِيدٍ بليغٍ إلى شاعرينُ:

إِذَا مَتُّ قَبْلَكُمَا فَآكُتُبَا عَن يَدَيْنِ

تَعَاهَدَتَا وَرَدَةَ الشَّعْرِ حَتَّى زَهَتْ فِي الغُصَيْنِ

وَعَن قَلِقٍ كَانَ يَأْخُذُنِي نَحْوَ.. لَمْ أَدْرِ أَيْنُ؟

تَمَنَيْتُ أَنْ أَحتَوِي نَجْمَةَ الكَلِمَاتِ..

فدَاهَمَنِي قَمْرُ الجَنَّتَيْنِ

وَهَأَنذَا دُونَ شِعْرٍ أُسِيرُ إِلَيْهِ الهَوَيْنِي.. وَيَمشِي إِلَيَّ

الهَوَيْنِ

(رَأُوا فَوْقَ شَاهِدَةٍ تَتَكَلَّمُ عَن رَاقِدٍ فِي ثَرَى صَخْرَتَيْنِ).

الأيدي الأثيمة

هناك.. بحمص القديمة

رأى شبهاً جالساً بين جثة طفل، ودمعة أمٍّ يتيمه
فنادى له:

- أنت من يا خيالاً يقيس المسافة بين خطي النازحين
وبين خيوط الجريمة؟

- أنا نصف معنى يحاول أن يرتقي في السماء..

ولكنها الأرض أمي.. أم المعاني الرحيمه

أجاب.. وودعه سادن النبرات الرخيمه:

هنا لا مجال لأيدي وداع تلوح..

فسوف تعود الأيدي الأثيمة.

أشواق

تموتُ جذورُ البلادِ ونحنُ بعيدونَ عنها، تموتُ
ونحلمُ أنا نعودُ إليها لنبكيَ على الشهداءِ، ونرثيَ لآثارِ
تلكَ البيوتِ

لماذا نعودُ؟

وماذا نقولُ لها حينَ تَعْتَبُ غيرَ السُّكوتِ؟

.. لمغترِبٍ قالَ لي: «دُلَّني لحدودِ بلادي..»

رحلتُ طويلاً، وعمريَ قريباً يفوتُ

أريدُ أعودُ إلى وطني.. كي أموتُ».

صباح النور الضائع

كما ينبغي لأسيرٍ عتيقٍ سيخرجُ من سجنه يومَ غدٍ:
تمشى إلى جانب السُّورِ، ودَّعَ أصحابه.. في مساءِ
الأحدِ

وهذا الصباحَ رأى النورَ، حاولَ أن يتحاشاهُ..
كانَ ضعيفَ التحمُّلِ من بعد عامينِ في ظُلماتِ الرَّصدِ
ومرَّ الثلاثاءُ والأربعاءُ حزينًا.. ومرَّ الزمانُ طويلًا،
بطيئًا..

وما زالَ يبحثُ عن حُلْمٍ كان يُدعى.. بلدًا.

#Save_Aleppo

يخافُ عليها من الشمسِ، يندَهها بأحبِّ النُّعوتِ
إلى قلبها: يا ابنتي، أنتِ لي مثلَ هذا الصباحِ البليغِ
الصَّموتِ

فتضحكُ سَلْمى، ومِنَ أجلِ سَلْمى تغنِّي العِصافيرُ..
أسمعُ تغريدَها في خُفوتِ
/ .. تُرى هل أتاكَ حديثُ القذائفِ وهيَ تُدكُّ المدينةَ؟
لم يتركوا في الديارِ سوى الموتِ..

كُلُّ

الأمانِ

تمووتُ

نعم.. ورأيتُ رحيلَ ابتسامَةِ سلمى..
وكان على وجهها أثرٌ غائرٌ للدموع، وفوق فساتينها
لهبٌ من حريقِ البيوتِ
وبينَ شقوقِ الجدارِ بقايا جداولِها في مهبِّ الرياحِ
الفلوتِ
تحاصرُني صرَخاتُ الضحايا.. وأخذُها بالسُّكوتِ.

قلوب البلور

لا تجرُّحُوا الشُّهَدَاءُ
فقلوبُهُم مثل الزجاج تكسَّرت .. فتناثر الحِنَاءُ
لا تكسِرِوها مرَّتينِ ..
فعادةُ البَلُّورِ أن يبقى نقيًّا، حاضرَ اللَّمَعَانِ، حسَّاسًا،
وشفافًا بلونِ الماءِ
(وجدوا على قبرِ طوى بيتًا من الفقراءِ).

الشهيد والشعر

الشهيدُ أشبههُ بالقصيدةُ:

فكرةٌ تتأكدُ في لحظةٍ، وتُلحُّ على شاعرٍ ما ليبدأَ ترتيبها
ويُعيدهُ

تشكُّلٌ بينَ المجازِ وبينَ الحقيقةِ بيتًا فيتًا..

وتُبنى من الكلماتِ الشريدهُ

لا تكونُ القصيدةُ واضحةً بالضرورة..

قد يَسمعُ النايَ معجمُها فيبطنُ ظاهرها بمعانٍ بعيدة

قد تطولُ القصيدةُ أضعافَ فكرتها..

قد تعيشُ طويلاً..

وقد يُطلقُ الشاعرُ الحُبَّ في قلبها ليموتَ قليلاً، ويتركَ

توقيعهُ شاهداً..

ويعودَ ليكتبَ موتاً جديداً، ويمنحهُ للحياةِ الجديدةَ.

تَجَلَّى الْجَمَالِ

يموتُ.. وَيَبْقَى الشَّهِيدُ جَمِيلاً

لأنَّا نرى فيه ما نتمنَّى:

رِضًا وِضْيَاءً لَطِيفًا.. وَظِلًّا ظَلِيلًا

رَثِينًا أُلُوفًا مِنَ الشَّهْدَاءِ..

وَلَمْ نَلْتَفِتْ لِلْجَمَالِ الَّذِي حَلَّ فِيْنَا وَشَدَّ إِلَيْنَا النَّخِيلَا

لَنَا أَنْ نُدْرَبَ فِي قِصَصِ الشَّهْدَاءِ الْكَثِيرَةِ صَعَبَ

الْكَلَامِ..

إِلَى أَنْ يُطِيعَ الْكَلَامُ الْخَيْولَا.

نتظر النهار..

في المخيم ها نحنُ ..
جئنا من الموتِ كي نسكنَ الإنتظارَ
في المخيمِ لا نستطيعُ البقاءَ على قيدِ لحظتنا، فنردُّدُ في
حيرةٍ:

هل سرجعُ يوماً لتلكِ الديارِ؟
وهل ستكونُ مدائننا في أماكنها بعدَ هذا الدمارِ؟
في المخيمِ يلعبُ أطفالنا بالترابِ .. كما يفعلون الصغارُ
وتجتمعُ الأمهاتُ الحزاني قُبيلَ الغروبِ .. كما كنَّ
يفعلنَ قُبيلَ الحصارِ

في المخيمِ قد يلتقي صاحبانِ مُصادفةً، فيطولُ الحوارُ..
إلى آخرِ الذكرياتِ، وتهتزُّ أسيجةٌ من عُبارِ
ويبكي امرؤُ القيسِ:
يا صاحبيَّ قفا ساعةً وارثياً للقفارِ
في المخيمِ لا يحتوينا سوى قلقٍ واحدٍ:
أن يُطلَّ النهارُ.

فِي التَّيِّه

تَنقَلُّ بَعْدَ قُرَى الشَّامِ بَيْنَ بِيوتِ الْغِيَابِ ..
كَمَا دَبَّتِ الرِّيحُ بِي .. عَصَفَتْ بِالْجِبَالِ الْجِبَالَ، وَهَبَتْ
الْخِرَابَ

- يَقُولُ - وَلَمْ أَعْفُ عَنْ قَرْيَةٍ تَرَكْتَنِي حَزِينًا الْحَقَائِبِ
مُتَجَهًّا لِلسَّرَابِ

لَأَنِّي غَرِيبٌ .. غَرِيبٌ .. إِلَى أَيِّ جِذَعٍ أَعُودُ؟
وَعَنْ أَيِّ غَيْثٍ أُحَدِّثُ عَشْبَ الْأَمَانِي؟
وَكَيْفَ أُصْبِرُّهُ بِرَبِيعِ الْإِيَابِ؟

حامل المسك

يبالغُ في عطره صاحبُ النَّعشِ..

يمشي وَّيُدا

يُحِقُّ لَهُ أَنْ يَعْبَرَ بِالْمَسْكِ عَنْ مَوْتِهِ..

وَيَعْلَمُنَا كَيْفَ يَحْيَا فَرِيدَا

أَلَمْ يَضْحَكِ اللهُ لِلشُّهَدَاءِ؟

أَلَمْ يَتْرَكُوا فِي الدِّمَاءِ عَلَى قَاتِلِيهِمْ شُهُودَا؟

أَمْرٌ عَلَى الشُّهَدَاءِ بِشِعْرِي، فَأَنْثَرُهُ بَيْنَ أَزْهَارِهِمْ..

وَأَعُوذُ وَحِيدَا.

جمر الرحيل

غريبٌ..

وتبدو عليه صفاتُ الرَّحِيلِ
ويُدفنُ في صدره جمرَ رحلته المتراكم..
كم مُرهقٌ ما يَشِيلُ
يزورُ المخيمَ بعد المخيم..
يبحثُ عن خيمةٍ لا تميلُ
يجوعُ قليلاً، وينسى كثيراً..
ويُصغي إلى همهماتِ الصَّميرِ الجليلِ:
فصبرٌ جميلٌ.. جميلٌ.. جميلٌ.

آخر ما تبقى

لا جمال تخلفه الحرب..

غير جمال الكلام.

ابن السَّحاب

إلى حيزٍ بين قلبي وبين الترابِ
خرجتُ وحيدَ الدُّموعِ ..
أناجي القَتيلَ الذي نهَشَتْهُ رُؤوسُ الحِرابِ
حزيناً أكونُ بحَضْرَتِهِ ورقيقَ العتابِ:
لماذا صعدتَ إلى جنةٍ ومساكنَ طيبةٍ ..
وتركتَ دماءَكَ فوقَ الخرابِ
أيا مطرَ المُفرداتِ الفضيحةِ .. يا ابنَ السَّحابِ؟

الجامع العمري (درعا)

حين تسقطُ مئذنةٌ عن فضاءٍ
يخزنُ المؤمنونَ على فقدها (هي رمزُ عتيقٍ لأشواقهم
للنبيِّ ورغبتهم في الصفاء)
تتصادى المآذنُ ما بينها بالثناء
وتُصعَّدُ أحزانها زفرةً زفرةً من بُيوتِ السماء
وتتمدُّ النداءُ إلى ربِّها، وتمدُّ النداءُ
.. ثم أوقفني قائلاً:
لم تغبُ.. إنها هي مئذنةٌ تنحني لتعانق عُشاقها
الشهداء.

الجرح..

مراحل أولى..

من الحزن.. ليل، وصورة طفلٍ سيتركُ قلبي على

درجات الصّباح قتيلا

حنانيه.. طفلاً لطيفاً كرسم السكون على آخر السّطر..

طفلاً بسيطاً جميلاً

مع الجرح في عنقه؛ غير أن ابتسامته للحياة أبت أن

تزولا

وعيناهُ لا تنظرانِ لشيءٍ.. فقط للطيورِ التي عودتُهُ على
أن يُحبَّ السماءَ البتولا
يتيمُّ أنا عندَ صورتيهِ، وصغيرٌ كلامي بحضرتِهِ.. وأشدُّ
ذهولاً:

لماذا الصغارُ إذا رحلوا يوقظونَ إرادتنا للبقاء..
ويختصرونَ علينا طريقَ الظنونِ الطويلاً؟
أُغني، أُغني لأقمارٍ من ير حلون..
ولكنْ براءتُهُم لا تريدُ الرَّحيلاً.

أسامة..

أسامة!

رحلت ولم تترقق بنا..

هكذا.. هادئاً كيامة

جميلاً كشامك..

تلك التي لم تدعها وترحل إلى غيرها..

أين يلقي المودع في غربة الروح شامه؟!

أسامة..

علام تأخرت عن أخويك ولم ترهم لو قليلاً..

علامه؟

ولم تنتظرنا..

لنلتقاك في قاسيونَ

ونمشي دُروبَ دمشقَ نزولاً إلى بردى فالحجازِ..

نُصافِحُ عمِّي هناك..

ويمنحنا دعوةً وابتسامَةً؟

أسامة..

يقولُ أخي:

كيف أرجعُ للشامِ دُونك؟

كنتَ الصديقَ إذا همُّ أرخى ظلامَهُ

أَجِبهم جميعاً..

ومرَّ عليهم ولو لحظةً في المنامِ..

حنانيك.. يومانِ مرّاً، وما ذاقَ فينا حُبَّ منامِهِ

وداعاً..

ليرحمك ربُّ رحيم،

ويسقك دمعُ الغمامة

ولم أرج يوماً رثاءك..

كيف سأرثي كبيرَ غيابك بالكلماتِ الصغيرة..

بالكلماتِ الخجولة..

يا.. يا ابنَ عمِّي أسامة؟

ما تركوه لنا..

وقد يأخذونَ إذا رحلُوا:

أما كِنَهُم بيننا في المساءِ، تفاصيل أيامهم، فقرهم
للأمانِ..

وأصواتهم، وظلالَ خطاهم..

نعم أخذوا كلَّ شيءٍ يدُّ على الموتِ.. وانتقلُوا
ولكنَّهُم يتركونَ لنا ما نزيدُ احتياجًا إليه، وما لم يعودُوا

بحاجته..

وهو الأملُ.

ذاكرة الخيام

صديقي المفضل

تعال لنمشي معاً، فهنالِكَ في آخر الدَّربِ حُلْمٌ مؤجَّلٌ
غداً سوف تَنسى وتكبرُ..

سوف تكونُ حياتُكَ في ذلك الوقتِ أجملُ
وقد نلتقي مرَّةً ونردُّ أخبارَ هذا المخيمِ.. نبكي
ونضحكُ..

نذكرُ أنَّ طفولتَنَا انكسرتْ ذاتَ حربٍ، وَأَنَا بَقِينَا نرَدُّ
من أَغْنِيَاتِ الرَّجوعِ المؤمَّلِ
كَبِرْنَا، ولم تَتَنظَّرْنَا الطفولةُ حتى نعودَ إلى الحَيِّ..
حيث الملبَّسُ والضحكاتُ الصغيرةُ والعيدُ يفرحُ في
قلبِ طفلٍ مدلَّلٍ
تعال.. تعال لنرحلْ.

تسميع

لكلِّ بلادٍ محاسِنُ
وأجملُ ما في دمشقَ أراهُ: المآذنُ
قصورُ صفاءٍ، وفي ظلِّها القلبُ ساكنُ
تُطلُّ على الغرباءِ إذا افتقدوها..
كما الأصدقاءُ إذا افتقدوكَ بأوفى المعادنُ

تَمِيلُ لَدَى سَاعَةِ الْفَجْرِ مِنْ شَوْقِهَا، وَتَرَدُّدُ «تَسْمِيعِهَا»
فِي الْمَدَائِنِ
وَتَمَلُّ غِيَابَاتِنَا بِالِدَعَاءِ..
لَعَلَّ رَيْبًا يُجِيبُ الْعِطَاشَ وَمَنْ أَصْبَحُوا بَيْنَ شَاكٍ وَبَاكٍ
وَلَكِنْ..
وَلَكِنْ كُلَّ الْمَآذِنِ فِي الشَّامِ تُصْغِي إِلَى الْأُمُويِّ..
فَتَعْلُو، وَتَشْرِقُ فِي سَمْعِهَا بَيْنَ مَا سَيَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ.

الصبر المقيد

يحدُّثني عن سنينِ الغيابِ
وراءَ السِّيَاحِ الذي خلفَهُ ألفُ بابِ حديدٍ وِبابِ
وعن جُوعِهِ في الشتاءِ، وطَعْمِ الحِرَابِ
وعن يومِ رَضُوا العِظَامَ ودَقُّوا الرِّقَابَ
وعن قتلِ ذاكِ التَّقِيِّ الذي اشتاقَ للصَّلَواتِ العِذابِ
فصلَّى على ليلٍ مَهَجَعِهِ.. ثمَّ تابَ
ولكنهُ ماتَ في الفجرِ بينَ أيادي الذئابِ

يحدّثني عن جحيمِ رآه، وعمّا حوى سجنٌ تدمر من
ظلماتِ العذابِ

وكان شاباً.. ومرّت على سجنه سنواتٍ طوأل..

فشاب

يحدّثني.. ثم يضحك منهم طويلاً..

كأن لم يبت ليلةً بين نابٍ سنينٍ ونابٍ!

وأعجب من صبره.. فيعيد إلى الصبرِ كلَّ بقاءٍ عجب

أعني بصرك يا عم.. هأنذا ضائعٌ في الضباب!

.. ولكنّه كان يقطعُ دربَ النهارِ.. وأمشي وراء

السراب.

خُضْرَةُ الدَّمِ

ورثنا حكاياتهم..

ورَوَيْنَا عَنِ الْمَوْتِ أَلْفَ قَصِيدَةٍ

قَدَرْنَا نَغْيِرُ لَوْنَ الدَّمَاءِ إِلَى خُضْرَةٍ كَالجِبَالِ البَعِيدَةِ

وَقُلْنَا: يَمُوتُونَ شُمَّ الرِقَابِ.. كَمَا النَّخْلَاتُ العَنِيدَةُ

نَعَمْ.. وَرَوَيْنَا كَلَامًا كَثِيرًا..

وَلَمْ نَسْتَطِعْ وَصْفَ قَطْرَةِ مِسْكِ شَهِيدَةٍ.

مسرح صامت

يستيقظُ المقتولُ في وضحِ الجريمةِ
يرتدي دمه.. ويجلسُ فوق دكتهِ القديمةِ
وحده..

كانت تُراقبهُ عيونُ الجالسينِ..
وكان يقرأُ سيرةَ الشهداءِ في صمتٍ غريبٍ..

ساعة..

ويعود شخصُ المسرحيةِ نحوَ ميتهِ بطيئاً - مثلَ من
يُصغي لشيءٍ - ثم يسقطُ فجأةً..
يُرخي الستارُ..

ويقرأُ الجمهورُ أفكارَ الممثلِ مثلَ عاداتِهِ..
الممثلُ ضاحكاً:

لا شيءَ أوضحُ من دمي، لا تقرؤوه، تذكروهُ فقطُ
بدمعاتٍ رحيمه

(ملاحظة: [هو ليسَ مرئياً.. ولكن قد يراهُ
الصابرون، الباسطونَ إلى السماءِ يداً كريمه).

بلاغة الصُّعود

في أمالي البلغاء:

أنه عند مديح الشهداء
يصعدُ الشاعرُ أدراج السماء
ينتقي معجمه من نورها..
قبل أن يدمع ألفاظ الرثاء
.. تلك أعلى طبقات الشعراء.

بيوت الأمل

دائمًا تنتهي الحربُ حينَ نَمَلُّ الحياةَ ونَشعُرُ يأسًا
سوفَ نَدفِنُ أمواتنا
ونعالِجُ أرواحنا بتناسيِ المُصابِ..
إذا كان يُنسى
سُنْعِدُ بناءَ المدينةِ بيتًا بيتًا
نُزخِرُفُها مسجداً مسجداً..
سَتَمُرُّ ليالي الحكاياتِ أمسا فأمسا
ربما كان حُلماً بعيداً..
ولكنَّ قُرْبَ الحقيقةِ أقسى.

العناء

ستولدُ ميّتةً.. ثم تحيا البلادُ
بلادُ اليتامى التي احترقتُ..
ستُضيءُ خلالَ الرّماذِ
بلادُ من الأملِ الرّحِبِ في قلبها قمرٌ..
ومن الحزنِ ما يترأى لنا حولهُ من سوادِ.

عرس لنافذتين

تكوّن الأشياء في بلدي الجديد:
شجرٌ يُطلُّ على بياضِ الياسمينِ، يَدانِ مهمَلتانِ،
أخيلةٌ لتقليدِ الحقيقةِ، نُزْهةٌ للصوتِ، مقهىٌ للتذكُّرِ،
ساعةٌ للفكرِ أو للشعرِ، ميدانٌ من التاريخِ، عشبٌ بين
مئذنتينِ، مجتمَعٌ فتى، عرسٌ لنافذتينِ، طفلٌ ما يفكرُ في
طفولتهِ كأمرٍ ما بعيدٍ
لكنَّ أشياءً بمرحلةِ التكوّنِ لم يلاحظها النسيْدُ
محبوبةٌ عنّا بنا، وبسرّها انفرادَ الشهيدِ.

وفاء..

غداً.. بعد أن يَعْمَرَ الناسُ أحياءَهُمْ..
ويعودَ إلى مائه بردي، ويشفَّ الفُراتُ
ويرتقي الحسُّ بين اغترابِ الصِّبا وانتظارِ البياتِ
ويمشي على مهلهِ الوقتُ دونَ التفاتٍ..
بدونِ التفاتٍ إلى أحدٍ غيرِ صوتِ الحياةِ
هُنالِكَ فافتقدوني بذاكرةِ الأوفياءِ:
هُنا امتدَّ ظلُّ الشهيدِ قليلاً.. وماتُ.

.. إلى السماء

وَمِنَ الْوُدِّ أَنْ يَسْأَلَ الشُّعْرَاءُ عَنِ الشُّهَدَاءِ
وَلَوْ كَانَ بَيْنَ الشَّهِيدِ وَبَيْنَ الْقَصِيدَةِ مَا بَيْنَ أَرْضٍ وَأَعْلَى
سَاءً:

سَتَعْبُرُ أَيْبَاتُهَا جَنَّةً جَنَّةً .. وَتُؤَدِّي تَحِيَّتَهَا وَالرِّثَاءُ
فَالسَّلَامُ عَلَى السَّادَةِ الْأَصْفِيَاءِ
غَائِبُونَ .. وَتَحْضُرُ أَشْخَاصُكُمْ فِي ضَمَائِرِنَا ..
رَغَمَ مَا يَعْتَرِي صَفْوَهَا مِنْ شَتَاءِ.

نُبُلٌ..

ويا ربِّ، هَبْنِي لِأَيِّ شَهِيدٍ جَلِيلٍ
يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَيَّ..

على ظُلُمَاتِ الصَّرَاطِ الطَوِيلِ.. الطَوِيلِ
أَقُولُ لَهُ: أَنْتَ مَنْ.. أَيُّ هَذَا النَّبِيِّ؟
يَقُولُ: شَهِيدٌ تَحَدَّثَ عَنْهُ كَثِيرًا..
وَجَاءَ يُتِمُّ الْجَمِيلَ.

